



تمثيلات الوطن في رواية "من يستأجر لي وطنًا" للطاهر مرابي

Representations of the homeland in the novel "Who rents me a homeland" by Taher Marabaei

ط.د/ مراد سرکاستي* Dr, Mourad SERKASTI

جامعة مولود معمري تيزي وزو

مخبر تحليل الخطاب

Mourrayen052@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/19

تاريخ القبول: 2023/06/06

تاريخ الإرسال: 2023/05/29

ملخص:

لقد شغلت الأزمة الجزائرية بل كثير من النقاد والمبدعين، بعدما تسلفت إلى يوميات الإنسان، فراحوا ينوِّعون في كتاباتهم، وكانت هذه الكتابات في أغلبها سياسة طمست الكثير من الخصوصيات، وهمشت لأهم قضايا سائدة، لذلك نجد أنَّ الرواية قد اتخذت من هذا الواقع مادة لها، وراحت تحكي عنه وعن مشاغله سيما ما يتعلّق بالوطن والإنسان، فالرواية هنا تؤدّي دورا هاما في رصد تدفقاته الوجدانية، ورسم استراتيجيته الفكرية والجمالية، والتفت حوله بهدف احتواء همومه واهتماماته وآماله، وبفضل امتلاكها تقنيات فنية وقيما جمالية، تكفل لها استنطاق النوازع الإنسانية الكامنة داخل الذات الواحدة أو الذوات المختلفة.

لهذا استقر اختيارنا على رواية تسرد لنا تلك الهموم والمشاكل، وهي رواية "من يستأجر لي وطنًا" للكاتب الجزائري الطاهر مرابي، حيث جعلت من صورة الوطن موضوعا ثريا ومؤثرا، حيث أنَّ هذا النوع من المواضيع يتناول هموم الناس ملتزما بقضايا المجتمع. ومن هذا المنطلق ارتأينا طرح الإشكالية التالية: كيف تمثلت صورة الوطن داخل الرواية؟

الكلمات المفتاحية: الرواية، التمثل، الوطن، الانتماء، الشخصية.

Abstract:

The Algerian crisis has preoccupied many critics and creators, after it infiltrated people's diaries, so they began to diversify their writings, and these writings were mostly politics that obscured many specificities, and marginalized the most important prevalent issues, so we find that the novel has taken from this reality as its material, and left It tells about him and his concerns, especially with regard to the homeland and the human being. The novel here plays an important

*المؤلف المرسل

role in monitoring his emotional flows, drawing his intellectual and aesthetic strategy, and turning around him with the aim of containing his concerns, interests and hopes. different selves.

That is why our choice settled on a novel that lists these concerns and problems for us, which is the novel "Who Rents a Homeland for Me" by the Algerian writer Taher Marabaei, as it made the image of the homeland a rich and influential topic, as this type of topic deals with people's concerns and is committed to the issues of society. From this point of view, we decided to raise the following problem: How was the image of the homeland represented in the novel

Key- words: Novel, representation, homeland, belonging, personality

1. مقدمة:

حضي الوطن باهتمام كبير من طرف الروائيين، واحتل مكانة بارزة في رواياتهم نظرا لقيّمته العظيمة في القلوب وما يحمله من معان عميقة، إذ يعتبر منبع الأحاسيس الصادقة، فلكل فرد حق العيش وسط عائلة داخل مجتمع تكون له هوية، والتي تكمن في وطن يحويه ويعطي له اسما ومكانة بين الأوطان الأخرى، ولذلك نجد تعدّد أشكال التعبير عن الوطن، ورواية "من يستأجر لي وطنًا" للطاهر مزابي، وهو ما دفعنا للبحث عن أشكال تمثّل الوطن في الرواية محاولين البحث عن علاقة الشخصيات والأمكنة بالوطن.

2. تعريف الوطن:

وردت كلمة وطن في معجم لسان العرب لابن منظور على أنّها «المنزل الذي نقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحلّه في قول رؤية يقول: أوطنت وطننا لم يكن من وطني، لو لم تكن عاملها لم أسكن بما ولم أرجح لها في الرّحمن والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر: "مرايضها وأماكنها التي تأوي... وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه"¹ فالوطن حسب ابن منظور الموطن والمنزل والمسكن والمقام، وهو المكان الذي يجب أن يحس فيه المرء بأن له حصّة من غيره، ولا يشعر به بالظلم فالوطن أوسع من مجرد مكان.



إنّ الوطن هو الأرض التي يولد فيها الإنسان وينشأ فيها ويتعرّع في أكتافها، وهو المكان الذي يحتوي مجموعة من عقب الذكريات التي لا يمكن نسيانها، وبالتالي فإنّ الوطن هو بمثابة الذاكرة للإنسان، وهو ما نستشفه من خلال قول الجرجاني: «مولد الرجل والبلد الذي هو منه، وطن الإقامة موضع أنه يستقر فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر من عشر أن يتخذ مسكناً»².

3. تعريف الانتماء:

إن الانتماء كلمة تتعلق بالإحسان والمحبة والود الصادق، الذي يخرج من القلب ناحية أمر ما، والوطن هو أول شيء يشعر الإنسان بالانتماء إليه، وذلك لأن الوطن يعني بيت الإنسان وراحته،³ فهو شعور الإنسان بالحب اتجاه وطنه وحبّه وإخلاصه له دون تفكير.

إن الوطن دائماً يكون أحن علينا ونشعر فيه بروح الانتماء، فلذلك على الآباء والأمهات أن يغرسوا حب الوطن داخل نفوس أبنائهم لتقوية روح الانتماء في قلوبهم، ويشجعهم أن يصبحوا أفراداً صالحين في المجتمع، ولأن من ينتمي إلى وطنه يتسم اتجاهه بالإخلاص والدفاع عنه.

3. تفكيك العنوان:

يعتبر العنوان مفتاح أي نص أدبي، حيث يقصد به «بنية لغوية مشحونة الدلالة، والممثلة لفكرة النص بقصدية من قبل المرسل، يحكمها سياق قادر على أحداث التواصل مع المرسل إليه، ويكون الفضاء الطباعي هو القناة التي تقوم بعملية الاتصال فيما بينهما»⁴ فالعنوان سمة تواصلية تربط المبدع بالمتلقي، وفي ذات السياق العنوان: «إظهار خفي ورسم للمادة المكتوبة، إنّه توسيم وإظهار، فالكتاب يخفي محتواه ولا يفصح عنه، ثم يأتي العنوان ليظهر أسرارّه ويكشف العناصر الموسعة فيه الخفية والظاهرة بشكل مختزل وموجز»⁵ أين يستدعي التأمل والتمعّن لتقديم حشياته الغنيّة المختفية وراء لفظه المختصر. جاء العنوان "من يستأجر لي وطنًا" عنواناً استفهامياً، حيث خلق في ذهن القارئ عدة تساؤلات يحاول عن طريق القراءة والتحليل الوصول إلى أجوبة لمثل هذه التساؤلات، يتكون العنوان مع أربع كلمات:

من	يستأجر	لي	وطنا
حرف استفهام	فعل وفاعل	حرف نسبة	مفعول به

من : استفهام

المخاطب : الكاتب

المخاطب : مجهول

كلمة استفهامية:

أداة استفهام + المرسل + المرسل إليه + الرسالة.
 من الكاتب الكاتب نفسه البحث عن
 أو القارئ وطن مناسب

3-1. دلالة الجملة الاستفهامية:

عرفت الجملة الاستفهامية بالدلالات التي تؤول إليها وكذا أغراضها: الإنكار والتقرير والأمر والنهي والتسويق. إن محاولة تحديد مفهوم واحد للوطن أمر صعب، وبالتالي جاء العنوان بشكل استفهامي من أجل إثارة القارئ ودفعه للبحث عن جواب للاستفهام، وفك الغموض، وليغوص بخياله في الرواية عسى أن يجد جوابا لهذه التساؤلات، وقد كان سبب جعل العنوان استفهاميا هو السعي المستمر لإيجاد وطن دافئ يحتويه للإيجار، وكلمة إيجار تحمل دلالات متعددة فالمستأجر لا مسكن له، أو بيت يحويه، أو من دفعته الظروف للهروب من وطنه إلى وطن آخر، لأنه لم يجد الراحة التامة في وطنه، وكان أمله الهروب واستئجار وطن، فنجد البطل زهير الذي ترك وطنه وذهب يبحث عن وطن بديل ليجد فيه الأمن، الإخلاص، الوفاء، والحرية، لكنه يصبح تائها في رحلة البحث عن وطن للإيجار، وهو لا يعرف تفاصيل هذا البديل الذي يسكنه، ففي المحمل نجد زهير ضائعا في هذه الرواية غير مستقر في مكان واحد، وذلك باختياره أن يجول العالم من إيطاليا، نيقوسيا أوكرانيا... وكان يتوقع كل الاحتمالات في كل محطة عسى أن يجد وطنًا يحتضنه ويمنح له ما لم يمنحه وطنه، برزت رحلته المتواصلة بالبحث عن وطن للإيجار، وكانت الجزائر حاضرة في عقله مع أصدقائه، ومن هنا نلاحظ تبخر فكرة البحث عن وطن للاستئجار وإنّ الأوطان غالية لا يمكن أن توضع حلبة رهان مهما أدخلت الظروف الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية في خيالات، وتحمل وطنك حبالا من العتاب، وتحمل حقبة الاستسلام والفشل، فمهما دارت الأزمان يبقى الوطن الملجأ الوحيد الذي يحتضنك حيًا أو ميتًا، لو



نلاحظ الوريد المرتبط بالقلب إذا انقطع انقطعت الحياة، هذا هو الوطن الفطري فينا منذ الولادة حتى الممات.

2-3 - علاقة الشخصية بالوطن

أ- تعريف الشخصية:

تعدّ الشخصية من أهم العناصر في العمل الأدبي والروائي، وهي: «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية، وتعرف أيضا على أنها هذا العالم المعقد الشديد التركيب تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمواهب الإيديولوجية والثقافات الحضارات والحواجز والطبائع البشرية»⁶، فالشخصية مرتبطة بأحداث القصة والمسرحية، وهي عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنها، فبدونها لا معنى للقصة، فالرواية تختلف باختلاف الشخصيات وتعدد أفكارها، والشخصية المحرك الأساسي للأحداث في أي عمل روائي.

ب- أنواع الشخصيات:

ـ الشخصية الرئيسية:

تعتبر الشخصية الرئيسية الميدان والجمال الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث، فالشخصية الرئيسية هي التي تقود الفعل، وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية⁷.
تعد شخصية "زهير" شخصية رئيسية نالت الحصة الأكبر عبر الأحداث، فهي الأكثر حضورا على طول صفحات الرواية، وزهير شاب مغترب، غير أنّه جسّد نموذجا من معاناة الشباب في الغربة، خاض تجربة الترحال، متنقلا بين بلد وآخر بحثا عن حياة أفضل، فهو يحب وطنه لكن الظروف أرغمته على مغادرته آملا منه أن يجد في الغربة ما لم يجده في وطنه.

فالوطن بالنسبة لزهير هو المكان الذي توجد فيه أمّه، فقد أدرك أنّه مهما عاش في الغربة إلا أنّه لا يمكن لأي شيء أن يعوّض له حنان الأم، وهذا ما يميّز الحياة في أحضان الوطن والحياة في الغربة، أي أنّ الأم وطن حيث يقول زهير في قوله: «سامحيني يا أمي سافرت من أجلك وعدت من أجلك منذ البداية لأنني لم أجدك هناك»⁸، وهنا نفهم أن زهير شبه الوطن بأم بما توفره من حنان واحتواء

ودفع أي أن الأم وطن بحد ذاته، فزهير كان يشعر بالضيق والشوق وهو في ديار الغربة لذلك نجد يقول: «ما أضيق العالم حين تكون بعيدا عن وطنك»⁹.

وقد يصح لنا القول أن من يعيش في ديار الغربة كمن يعيش في بيت شخص غريب مهما مكث لا بد منه من العودة إلى بيته أو وطنه، فزهير لم يرحل من وطنه طوعا، وغنما نتيجة تلك الظروف القاهرة والأوضاع الاجتماعية التي أظلمت الحياة في وجهه، لذلك أراد أن يبحث عن هذه النقائص في ديار الغربة فيقول: «جئت أبحث عن حياة في عالم أفضل، جئت أبحث عن عمل ومستقبل»¹⁰ فزهير يأمل في تحقيق أحلامه في الغربة وتحسين حياته للأفضل وللأحسن، إلا أن احتكاكه بأصدقائه كان سببا ودافعا قويا للعودة إلى وطنه الدافئ الذي لم ينسه رغم كل الظروف القاسية التي تصادفه.

— الشخصية الثانية:

تتفاعل الشخصية الثانية مع الأحداث، فهي ضرورية في الرواية، لأنها تطرح الوجهة المقابلة للبطل وتقدم شيء من المساعدة، لتوضيح بعض صفاته، وقد تكون صديق للشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تطل علينا من حين إلى آخر، وتقوم بدور مساعدة البطل، وهذا ما ينتج المعمار الفني للرواية أي أن الشخصية الثانية لما دور في هندسة البناء.

— سلاف: شخصية ثانوية ساهمت بشكل كبير في تطور ونمو الأحداث، فسلاف صديقة زهير وهي التي ساعدته على الهجر إلى الغربة، ويظهر ذلك في قولها: «لماذا قبلت المخاطرة والهجاء من الجزائر؟ أنت لا تعرفني ثلاث سنوات أو أربعة في فضاء افتراضي لأبرر قبولك، أنت تجازف كثيرا»¹¹ حيث أن زهيراً من المتأثرين بمواقع التواصل الاجتماعي وما تروّجه عن الصّفة الأخر من رغد العيش وغيرها، فترك عالمه الذي يتخبط في مشاكل البطالة وغلاء المعيشة، وسافر إلى ذلك العالم الوهمي الذي رسمته له سلاف عبر مواقع التواصل الاجتماعي، عالم لا يعترف بالعربي مهما كان شأنه، إذ يصنّفه في كثير من الأحيان ضمن الجماعات الإرهابية، وهو ما يتضح من قول سلاف: «أنتم العرب تنتقمون من الغرب دون استثناء... تنتقمون من الذين استعمروكم وسلبوا ثرواتكم...»¹² فالغرب حسب زهير لا يمكن أن يمنح لهم الأمان والاستقرار، إذ تبقى صورتهم سيئة جداً، ولا يثقون بهم، حيث تقول سلاف: «ترغبون في الاستقرار، تعودون إلى أوطانكم وتختارون بناتكم للزواج»¹³، حيث تشير إلى أنّ شباب العرب يبنون



علاقات مصلحة مع فتيات الأجانب ، ثمّ في نهاية المطاف يعودن إلى أوطانهم لتذوق جرعة الانتماء والاستقرار بالزواج، والتمسك بكل ما بقي من أجل الوطن ولأن الأسرة في بعض الأحيان وطن.

— أحمد: يعتبر أحمد من الأشخاص الذين وقفوا إلى جانب زهير وأراد أن يغرس في قلبه حب الوطن فيقول: «إن الوطن ليس مجرد اسم ، الوطن عنوان ثقيل يجب أن تتعب في حمله، وإذ خفّ وزنه نقصت قيمته»¹⁴، إذ يشير أحمد إلى العلاقة التي يجب أن تربط الشخص بوطنه وهي علاقة حب وتعاون وسلام وأمن، لأن الشعور بالوطنية يكون خارج ديار الوطن، فالغربة متعبة فمهما فعلت إلا أنك لن تحصل سوى على القليل من ثمرة تعبك واجتهادك ولن تحض بأي قيمة ولا أهمية ويظهر ذلك في قوله: «العيش تحت الظل والجدّ والكدّ في أرض تعطيها الكثير تعطيك القليل»¹⁵.

يرى أحمد أن التعاون الحقيقي يجب أن يكون بالإخلاص للوطن الأم الذي ولدنا وترعرعنا وانتمينا إليه، فلا يمكن العثور على وطن في ديار الغربة، بل يبقى المغترب أو في بلاد الغربة غريبا لا يشعر بالدفع ولا الأمان، ويظهر ذلك في قوله: «أرضك في ذلك الوطن الذي تركته وكنت تكافح فيه من أجل لقمة الكرامة.. في نيقوسيا لا وطن لا أخ لا جار... سيقال لك اذهب إلى بلادك وأطلب حاجتك من إخوانك وأبناء عمومك لا واجب لنا عليك»¹⁶، فالوطن حسب أحمد هو ذلك المكان الذي نشانا وترعرعنا فيه، بين أم وعمّ وأخ وجار.

— العم صالح:

يتميز بروح الحنين إلى الوطن وهو صاحب فكرة إقناع زهير بالعودة إلى وطنه، حيث قدّم له نصائح عديدة، ليدرك قيمة وطنه، وأن العيش في الغربة صعبة جدا، إذ لن تشعر بالاستقرار، ولن تمنحك ما تطمح إليه، فالغربة يمكن أن تجردك من وطنيتك، ولن تمنح لك وطنًا آخر فيقول عمي صالح: «تملك في الوطن وطنيتك أنت هناك جزائري الدم، لكنك هنا لست أوكراينا ولن تكون، ولو حصلت على الجنسية فيعطون لك ورقة الجنسية، لكنهم لن يعطوك الوطن»¹⁷، فالعم صالح رغم عيشه في الغربة إلا أنه مازال يدرك معنى الوطن الحقيقي، ويرى أن الحياة في أوطاننا تختلف عن الحياة في ديار الغربة. لقد غير العم صالح فكرة زهير اتجاه الوطن وأخبره بأن الوطن كنز لا يفنى، ونصحه بالعودة إلى وطنه حيث

يظهر في قوله: «ارجعنا إلى وطنكما ولا تمنحنا الندم فرصة، فالندم لا يأتي إلا بعد فوات الأوان»،¹⁸ وهي نصيحة قدّمها العم صالح له، وهي نصيحة من ضمير حي ينبض فيه محبة الوطن وغيرته عليه. إنّ من خلال تتبعنا لأهمّ الشخصيات في الرواية نخلص إلى العلاقة الوطيدة التي تربطها بالوطن الأصلي رغم غربتها، فالآخر (الوطن البديل) لا يمكن أن يعترف بهم ولا يمكن أن يشعرهم بالأمان، إذ يعتبرهم دائماً غرباء.

4- المكان وعلاقته بالوطن:

أ- تعريف المكان:

يعدّ المكان الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، وتمارس فيه الشخصيات تحركاتها، ويمثّل المرآة العاكسة لحالتها النفسية، فالشخصيّة لا تكتسب أهميّتها إلّا من خلال تفاعلها مع المكان المتواجدة فيه، فيتعدّى المكان كونه مجرد خلفيّة للأحداث بتفاعله مع الشخصيات والأحداث والزمن. فالمكان عنصر أساسي في أي عمل روائي، وهو المكون المحوريّ له، إذ لا يمكن تصور رواية بدون مكان، فهو «مرآة تعكس صورة الشخصيات فيستطيع أن تميز الأشياء من خلال وضعها في المكان وإنّ المكان هو رقعة التي يتم فيها عرض اللحظة السردية أو المشهد السردية»¹⁹، فالمكان الواقعي مرآة تعكس فضاء المتخيّل من خلال صورة الشخصيات، والتي تكشف من خلالها البعد النفسي والاجتماعي، فنجد الروائي يختار الأماكن التي تضفي على المحكي طابع الحقيقة والصدق، فالمحكي لا يكون مقيّداً بسمة المكان، وغالبا ما يرتبط هذا المكان انطلاقاً من الاستجابة النفسية والتواجد في محيطه، وبالتالي فالشعور الذي يتجلّى في الفنّان يترتب عليه بالضرورة تأثير في القارئ.²⁰

ب- أنواع الأمكنة في الرواية:

يمكن تقسيم المكان من خلال الرواية إلى نوعين: مغلقة ومنفتحة.

ـ الأماكن المغلقة:

تؤدي الأماكن المغلقة دوراً محورياً في الرواية، لأنها ذات علاقة بالشخصية، وتعد الملجأ الوحيد للذكريات والاستسلام للخوف الذي يغزو عقولنا، فمن خلال تحليلنا للرواية من يستأجر لي وطنًا لطاهر مزابي توقّفنا عمد بعض الأمكنة التي يمكن أن توضّح لنا مفهوم الوطن.



ـ الغرفة: إنّ الغرفة غطاء للإنسان، يدخلها فيخلع متاعب الدنيا ، ويلبس أحلاما يغوص بها في عالمه فهي تمثّل له الراحة، إلّا أنّها من خلال الرواية لا تمثل الراحة التامة في الغرفة، مثل الراحة التي يجدها في وطنه وهو ما يوضّحه هذا المقطع: «هل يمكن أن يتحسس عليك في غرفة النوم؟»²¹ إذ يبدو زهير متخوفا ولا يشعر بالطمأنينة، بل تعتريه الكآبة وعدم الأمان، حيث تخضع غرفة زهير لسلطة أشخاص آخرين، في حين أنّ غرفته في وطنه ملكية خاصة، لا تكون تحت سلطة أشخاص آخرين ، وذكرت كلمة غرفة في قوله: «عد إلى غرفتك في المنزل دمشق تمنحك هذا الوطن الصغير قبل أن تعود إلى وطنك الكبير حافظ على هذه الأمانة»²² حيث يظهر جليا من خلال هذا المقطع علاقة الغرفة كمكان بالوطن، وارتباطها وثيقا به، فالمغترب حسب المقطع لا يحسّ بالأمان في غرفته وهو في الغربة ، عكس مل كانت تمنحه له غرفته من أمن وسلام سواء في دمشق أو في الجزائر، ويواصل زهير في استحضار اللحظات الجميلة التي عاشها في الجزائر، وهو يسمع لصوت المؤذن، فيقول: «مازال صوت المؤذن يتسرّب عبر الأزقة»²³ فصوت المؤذن لم يمنع عنه الحنين إلى وطنه الأم، وهو ما يجعلنا نفنّد من خلال شخصية زهير مقولة الوطن هو المكان الذي تشعر فيه بالراحة، إذ أنّ زهير رغم هروبه من وطنه إلّا أنّ ظلال هذا الوطن مازالت تتبعه، فأصبح كثير الشوق والحنين له، نظرا لانعدام الأمن والراحة النفسية في الغربة.

ـ المطار: يعتبر المطار الرابط بين مكانين ، مكان الانطلاق ومكان الوصول أو مكان الخروج ومكان العودة، فزهير رغم أخذه قرار الهروب من وطنه (الجزائر) نظرا لما يعيشه من أوضاع مزريّة، إلّا أنّ منظر سلاف التي كانت تنظره لتستقبله جعلته يعي حجم ذلك الألم الذي سيتجرّعه وهو في الضفّة الأخرى ، فيقول: «ثواني بعد هبوط الطائرة ونزولي منها تستدرجني نظرات شقراء خلف زجاج مبنى المطار»²⁴ فهو لم يفرح برؤية سلاف في المطار، بل شعر بحزن وتشاؤم يتغلغلان إلى أعماقه وهو ما جعله يحس ببعده عن عائلته ، ويدرك حجم الخطأ في اختيار تلك الوجهة ، وأحس أنّ المطار نقطة بداية لحياة مجهولة قد لا يتدوّق فيها طعم الحرية أبدا، ولن يعود إلى وطنه بسبب الظروف التي أرغمته من الخروج منها، فحب سلاف له لا يمكن أن يعوّض حبّه لوطنه رغم هجرانه له، لذلك نجد أنّ كل

مكان يتنقل فيه زهير يعتبر نقطة لاستحضار ذكرياته، وفتح الباب للحنين والشوق للوطن الذي ولد وترعرع فيه.

ـ الأمكنة المفتوحة:

الشارع: للشارع أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، فيه يجد المتنفس والتحرر من كل أشكال القيد، إذ يقول زهير: "تنفجر خريطة قبرص بين عينيك أمام كلمة وطن، وتغرق شوارع نيقوسيا ومبانيها واحدة تلوى الأخرى، فاسحة المجال لمشاهد لشوارع سطيف تسمع أصوات الشباب الباعة في أسواق العلمة الراقية"،²⁵ فزهير يحسّ بأن شوارع قبرص وغيرها في الغربة تلفظه وترميه بعيدا من خلال ربط العلاقة بين ما كان يعيشه فيها وما كان يحظى به في شوارع سطيف، وهو ما يقوِّضه إلى رائحة وطنه الغالي الذي تركه خلفه، ويضيف زهير: "رغم أنني أعلم بأن مرجان لا يعرف عن أوكرانيا شيئا عاد الشارع الرئيسي الذي يربط المدينة بمقر سكنه نسير في هذا الاتجاه حتى لا نتوه"²⁶، فالتيهان لا يعني تضليل الطريق، بل هو عدم الاطمئنان في وطن أو بلد غامض لا يعلم عنه أي شيء، إذ يبقى هذا الوطن (الغربة) غير واضح المفهوم، مادام الوطن الأصل دائم الحضور في ذاكرة زهير، ويتذكره في كل مكان تطأ فيه أقدامه، فلا يتزحزح من ذاكرته رغم تلك الظروف القاسية التي تركته يتخذ قرار الهجرة والهروب بعيدا، فشوارع الغربة لا تمنح له تلك الراحة والأمان التي كان ينعم بها في شوارع وطنه.

المطعم: هو مكان يلتقي فيه البطل مع أصدقائه "يوقف أحمد السيارة أمام مطعم شعبي"²⁷ المطعم إذ يعتبر هذا المطعم جسر يربط بين غريتهم ووطنهم الأصل، يجدون فيه متنفسا للتعبير عن همومهم ومشاكلهم واشتياقهم ، ومكان لإفراغ مكبوتاتهم عن الوطن الغالي، وفيه يستحضرون كل ما له علاقة مباشرة بالوطن: "يأخذ بنفسه زاوية في مطعم مشاوي أبو ليلي... سيكون رغيف وزيت الزيتون حاضرين على الطاولة"،²⁸ فهذا المطعم الذي يقدم لهم هذه الأطباق الشعبية، والتي تعتبر عنصرا أساسيا في الأطباق الجزائرية، فلها رائحة تسكن ذاكرة زهير في أرض الغربة. فالمطعم واحد من الأماكن التي تذكّر زهير بالوطن.



إنّ المكان (في الغربة) بكلّ أنواعه لم يقطع عن زهير وأصدقائه خيط التذكّر والحنين إلى وطنه الأصل، فالتذكّر شكل من أشكال عدم الارتياح في الوطن الغربة، فالمقهى والشارع وغيرها من الأماكن تقوّي علاقة زهير بوطنه، وتجعله يرتبط به ارتباطاً وثيقاً.

تعتبر رواية "من يستأجر لي وطناً" رسالة الكاتب إلى الشباب لإيقاظ ضميرهم الوطني مهما كانت الظروف التي يعيشونها، حيث تتجلى فيها روح الوطنية وصعوبة العيش في الغربة، إذ أنّ كل سطر فيها يحمل شعلة الحنين إلى الوطن، فمعظم شخصيات الرواية متعلقة بالوطن أشدّ تعلق، ومن خلال اعترافات زهير يظهر لنا العوامل التي أرغمته حول ترك بلدانهم، وهي ظروف جسّدت معاناة أغلب الشباب في ديار الغربة.

5. الهوامش:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (وطن)، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13، ص451.

2- علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: الزنجشيري، دار الكتب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص212.

3- عمر اللحام، مقال حول الانتماء إلى الوطن، اطلعت عليه يوم 2022/06/16.

4- عامر جميل شامي الرشد، العنوان والاستهلال في مواقف النفري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012، ص31.

5- محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومشاكل التأويل) منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص11

6- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص13، نقلا عن مذكرة بنية الشخصية في الرواية -التوت المر- أيناال بن خليفة 2018-2019.

7- حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ط1، دار الثقافة، 1985، ص64.

8- الطاهر مرابي: من يستأجر لي وطناً، ص137.

9- المصدر نفسه، ص81.

10- المصدر نفسه، ص14-15.

11- المصدر نفسه، ص13.

- 12- المصدر نفسه، ص15.
- 13- المصدر نفسه، ص15.
- 14- المصدر نفسه، ص16.
- 15- المصدر نفسه، ص17.
- 16- المصدر نفسه، ص23.
- 17- المصدر نفسه، ص113.
- 18- المصدر نفسه، ص113.
- 19- محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، نقلا عن مذكرة ماستر، بنية الرواية، رياح القدر لمولود، هاجر جاعو، 2016-2017، ص11.
- 1- ينظر: عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، بيروت 2009، ص138.
- 21- الطاهر مرابي: من يستأجر لي وطنًا، ص12.
- 22- المصدر نفسه، ص43.
- 23- المصدر نفسه، ص43.
- 24- المصدر نفسه، ص8.
- 25- المصدر نفسه، ص41.
- 26- المصدر نفسه، ص113.
- 27- المصدر نفسه، ص56.
- 28- المصدر نفسه، ص43.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (وطن)، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13.
2. حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ط1، دار الثقافة، 1985.
3. الطاهر مرابي: من يستأجر لي وطنًا، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019.
4. عامر جميل شامي الرشدي، العنوان والاستهلال في مواقف النفري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012.

5. عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، بيروت 2009.
6. علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: الزمخشري، دار الكتب، القاهرة، مصر، دط، دت.
7. عمر اللحام، مقال حول الانتماء إلى الوطن، اطلعت عليه يوم 2022/06/16.
8. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص13، نقلا عن مذكرة بنية الشخصية في الرواية -التوت المر- أينال بن خليفة 2018-2019.
9. محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومشاكل التأويل) منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.
10. محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، نقلا عن مذكرة ماستر، بنية الرواية، رياح القدر لمولود، هاجر جاعو، 2016-2017.